

مجد الدين بن اللطيف

ومنهجه في التأليف

د. سمير سعيد كجّو

المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري الموصلّي الشافعي • يكتنّى أبا السعادات ، ويلقب مجد الدين ، ويعرف بابن الأثير .
ينتسب إلى أسرة عربية شيبانية عريقة النسب ، ذائعة الصيت يعرفها كل من اتصل بالتراث العربي ، وتعامل مع المكتبة العربية .

فوالده هو أثير الدين أبو الكرم محمد ، من أهل جزيرة ابن عمر (١) ومن عليّة القوم فيها ، كان ثرياً له تجارة رائجة (٢) ، كما كانت له ضياع وبساتين بالجزيرة وبالعقيمة مقابل الجزيرة • قال عز الدين بن الأثير (٣) : كان من جملة أعمال جزيرة ابن عمر قرية تسمى العقيمة مقابل الجزيرة من الجانب الشرقي • • • وكان لنا بها عدة بساتين • وعنه أنه قال (٤) : كان لي فيها ملك كثير • وجمع إلى جانب الثراء الجاه والمنتصب الرفيع ، وقد احتل مكانة مرموقة في الدولة عند آل زنكي أتابكة الموصل ، فعهد إليه قطب الدين مودود بولاية الجزيرة (٥) وتولى خراجها ، ثم زاده تقريباً فولاه الخزانة العامة ، وانتقل بهذا المنتصب إلى الموصل مع أسرته سنة ٥٦٥ هـ وظل يعمل في خدمة الأتابكة إلى أن استعفى وتولى بعده ابنه مجد الدين خدمة عز الدين مسعود (٦) •

* مصادر الترجمة : أتابكة الموصل لعز الدين بن الأثير ، انباه الرواة للقفطي ٢٥٧/٣ - ٢٦٠ • البداية والنهاية لابن كثير ٥٤/١٣ ، بغية الوعاة للسيوطي ٢٧٤/٢ - ٢٧٥ ، ذيل الروضتين لأبي شامة ص ٦٨ • شذرات الذهب لابن العماد ٢٢/٥ - ٢٣ ، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٥٣/٥ - ١٥٤ ، الفوائد البهية في طبقات الحنفية للكنوي ٣٥ ، المختصر في تاريخ البشر لأبي الفداء ٧٠٦/٢ ، مرآة الجنان للبيهقي ١١/٤ ، معجم الأدباء لياقوت ٧١/١٧ - ٧٧ ، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ١٩٨/٦ - ١٩٩ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ١٤١/٤ - ١٤٣ •

عرف أثر الدين بسداد الرأي ورجاحة العقل والحكمة والدهاء والعفة والابتعاد عن الجشع . روى ابنه عز الدين ما دار بينه وبين قطب الدين فقال (٧) نقلا عنه : « دخلت اليه مرة فسألني عما أتولاه من الأعمال وأحوال الرعية فيها ، وأنا أخبره عما سألني عن القرايا التي بها خاصة ومن يتولى قسمتها واستخلاص أموالها . فقلت له : أنا أفعل ذلك بنفسني . فقال : وما الذي قرر لك عليها في مقابل تعبك ؟ فقلت : لي من انعام مولانا ما لا حاجة لي الى تقرير شيء آخر ، ثم المقرر لي من الجامكية (٨) والرسوم ، انما هو على أعمالني من جعلتها هذه القرايا . فقال : لا يجوز تتعب بغير فائدة . ثم أمر لي بعمالة خاصة جميعها في بلاد الجزيرة ، ولما خرجت رأيته كثيرة يحصل منها ما يزيد على سبعمائة دينار أميرى ، وليس لي بها من العمل كثير أمر ، فقلت في نفسي : ربما لا يعلم مقدارها ، فاذا علمه يظن انني اغتنتم غرته ، فأرسلت له مع صاحبه أقول له : ان هذه العمالة يتحصل منها في هذا الرخص كذا وكذا دينارا ، وأنا أقنع ببعض ذلك . قال : فلما سمع قولي ضحك وقال : هذا كلام رجل عاقل والجميع له . كذلك عرف أثر الدين بحبه لأهل جزيرته وبالوفاء والاخلاص لرؤسائه ، ذكر ابنه عز الدين المؤرخ على لسانه أنه قال : استدعاني قطب الدين يوما وهو بالجزيرة - وكنت أتولى أعماله - فلما حضرت عنده قال : بلغني أنك تهمل هذه الجبايات ولا تحفظها ، فقلت : اني أعجز عن حفظها لأنني أكون في بيتي والدردار (٩) يفعل في القلعة ما يريد ، ثم التفاوت ليس بعظيم ، وأخاف من الاستقصاء فيها لو دعي على بعض هؤلاء الملوك أو أموات الى أولاده - لكان شعرة منه تساوي الدنيا وما فيها ، ولنا مواضع تحتل العمارة يتحصل منها أضعاف هذا ، فقال : جزاك الله خيرا نصحت وأديت الأمانة ، فأسرع في عمارة هذه الأماكن التي تتحمل العمارة . قال : فقفلت وقد كبرت منزلتي عنده ولم يزل يشني علي . »

ومع أن الرجل لم تكن له اهتمامات بالعلم واشتغال به والتصنيف فيه ، الا انه أنجب عددا من الأولاد هم سبل العلم ، ووفر لهم مستلزمات فننح بينهم ثلاثة أثروا المكتبة العربية بمؤلفاتهم . وتركوا بصمات واضحة تشهد على عبقريتهم ، وكان أكبرهم مجد الدين موضوع بحثنا وقد اختار الحديث والفقه واللغة ، والثاني عز الدين المتوفى سنة ٦٣٠ هـ بالموصل وقد تخير التاريخ فأبدع فيه كتاب الكامل ، والثالث ضياء الدين المتوفى سنة ٦٣٧ هـ ببغداد الذي أثر البلاغة وصناعة الانشاء فأبدع كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر .

في كنف هذه الأسرة التي عاشت في بحبوحة وتهيأ لها من أسباب الثروة والجاه ما تطلح اليه الأنفس ، وتتشوق اليه القلوب ، وترتو اليه الأبصار ، والد عالمنا مجد الدين وكانت ولادته في أحد الربيعين سنة أربع وأربعين وخمسائة هجرية ، الى ذلك ذهب معظم من ترجم له ، خلا أبا شامة (١١) الذي ذهب الى أنها كانت سنة أربعين وخمسائة وتبعه في ذلك ابن تغري بردي (١٢) .

ومهما يكن من أمر ، فقد أجمعت المصادر على أنه والد بجزيرة ابن عمر . وهي بلدة صغيرة في إقليم الجزيرة - يومئذ - على الشاطئ الغربي لدجلة شمالي الموصل . وهي مدينة مسورة ، اختطها الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي (٢٣) على ما ذكره ياقوت (١٤)

ويذكر ابن خلكان (١٥) أنها سميت جزيرة لأن دجلة محيط بها ، وينقل عن الواقدي أن الذي بناها رجل من أهل برقيع (١٦) يقال له عبد العزيز بن عمر وهو الصواب كما يقول . في هذه الجزيرة نشأ مجد الدين ، وفيها شب وترعرع ، وتلقى دروسه الأولى في مدارسها (١٧) على أيدي كبار علمائها ممن كان لهم معرفة وافرة باللغة العربية وآدابها ودراية كبيرة بعلوم الدين . فقرأ النحو والأدب والفقه وسمع الحديث . ثم انتقل إلى الموصل (١٨) سنة خمس وستين وخمس مائة وسكن بدرب دراج (١٩) . وهناك أخذ ينهل العلم من شيوخها ، ويتلقى المعرفة من أساتذتها ، ويتشرب الثقافة من مناهلها ، فأخذت معرفته تنمو ، وثقافته تغزر ، وعلمه يتأصل ، وشخصيته تتضج ، فظهر فضله ، وعلا قدره ، وذاع صيته ، واشتهر أمره ، وعرف بعلمه وورعه وتدينه وحسن سيرته . وأقبل عليه الناس للقراءة والانتفاع .

تنقل أبو السعادات بين الجزيرة والموصل وزار الولايات ، وقدم بغداد حاجاً وسمع بها جماعة من المتأخرين (٢٠) . ثم عاد إلى الموصل واستقر بها . إلى أن وافاه الأجل يوم الخميس سلك ذي الحجة سنة ست وست مائة هجرية (٢١) . ودفن برباطه بدرب دراج (٢٢) ، بعد مرض عضال أصيب به قيل أنه داء النقرس (٢٣) . وقيل أنه الفالج (٢٤) ، ومهما يكن فقد أقعده هذا المرض في آخر زمانه ، فكف يديه عن الكتابة ، ومنع رجليه من الحركة وصار يُحمل في محفة (٢٥) . فانتقطع في بيته يغشاها الأكابر والعلماء ، وأنشأ رباطاً بقرية من قرى الموصل تسمى (قصر حرب) وجعله رباطاً للصوفية ، ووقف أملاكه عليه ، وعلى داره التي يسكنها بالموصل .

شغل مجد الدين بن الأثير منزلة رفيعة عند أمراء الموصل بفضل ما أوتي من علم ومعرفة وما تمتع به من شخصية مميزة لفتت إليه الأنظار ، وما اشتهر به من ورع وتدين ، وما عرف به من صدق وصلاح وأمانة ، فقر به ذوو الأسطون ، وأسبقوا عليه المناصب الرفيعة .

قال ابن كثير (٢٨) : كان معظماً عند ملوك الموصل . وقال أبو شامة (٢٩) : كان أمراء الموصل يحترمونه ويعظمونه ويستشيرونه ، وكان بمنزلة الوزير الناصح ، إلا أنه كان منقطعاً إلى العلم . ويضيف ابن تغري بردي (٣٠) أنه كان قليل الملازمة لهم .

روى ياقوت عن أخيه عز الدين أنه قال (٣١) : تولى أخي أبو السعادات الخزائن لسيف الدين الغازي بن مودود بن زنكي (٣٢) ، ثم ولاه ديوان الجزيرة وأعمالها ، ثم عاد إلى الموصل فنبأ في الديوان عن الوزير جلال الدين أبي الحسن علي بن جمال الدين محمد ابن منصور الأصبهاني ، ثم اتصل بمجاهد الدين قايماز (٣٣) فنال عنده درجة رفيعة

(فكتب على يديه (٣٤)) فلما قبض على مجاهد الدين سنة ٥٨٩ هـ اتصل بخدمة أتابك عز الدين مسعود بن مودود (صاحب الموصل وتولى ديوان رسائله وكتب له) (٣٥) الى أن توفي عز الدين (سنة ٥٨٩ هـ) فاتصل بخدمة والده نور الدين أرسلان شاه (فحظي عنده وتوفرت حرمة لديه وكتب له مدة) (٣٦) ، وصار واحد دوائته حقيقة بحيث أن السلطان كان يقصد منزله في مهام نفسه لأنه أقعد في آخر زمانه ٠٠ أو يرسل اليه بدر الدين للولاء الذي هو اليوم أمير الموصل .

كان مجد الدين من أهل العلم ، تدفعه رغبة عميقة في الاستكثار منه ، والاستزادة من تحصيله ، وكان عزوفاً عن الدنيا ، زاهداً في السلطان ، نابذاً أضواءها ، رافضاً مغرياتهما وكان منقطعاً للدرس والتحصيل ، متفرغاً للعلم والتقوى ، ويحدثنا ياقوت نقلاً عن أخيه المؤرخ عز الدين أنه رفض منصب الوزارة الذي عرضه عليه نور الدين غير مرة . قال (٣٧) : حدثني أخوه المذكور يعني عز الدين - قال : حدثني أخي أبو السعادات قال : لقد ألزمني نور الدين بالوزارة غير مرة وأنا أستعفيه حتى غضب مني وأمر بالتوكيل بي قال : فجعلت أبكي فبلغه ذلك ، فجاءني وأنا على تلك الحال فقال لي : أبلغ الأمر الى هذا ؟ ما علمت أن رجلاً ممن خلق الله يكره ما كرهت . فقلت : أنا يا مولانا رجل كبير وقد خدمت العلم عمري واشتهر ذلك عني في البلاد بأسرها ، وأعلم أنني لو اجتهدت في إقامة العدل بغاية جهدي ما قدرت أؤدي حقه ، ولو ظلم أكثار (٣٨) في ضيعة من أقصى أعمال السلطان لنسب ظلمه الي ، ورجعت أنت وغيرك باللائمة علي ، والملك لا يستقيم الا بالتسليم في العسف (٣٩) وأخذ هذا الخلق بالشدة ، وأنا لا أقدر على ذلك فأعفاه ، وجاءنا الى دارنا فخبّرنا بالحال . فأما والده وأخوه فلاماه على الامتناع ، فلم يؤثر اللوم عنده أسفاً ، وذكر ذلك في قصة طويلة بتفاصيلها ، الا أن هذا الذي ذكرته هو معناها . وهكذا قضى مجد الدين حياته ، حتى ابتلي بذلك المرض الذي أقعده فقابلته بنفس راضية مطمئنة ووجد في ذلك فرصة يخلو فيها بنفسه ، ويعيش بقية عمره حراً كريماً مسلماً من الذل ، منقطعاً للعلم والتأليف فيه بعيداً عن مشاغل الدنيا وضوضاء الناس ، فانقطع في بيته يؤلف ويغشاه الأكابر والعلماء . وحكى أخوه عز الدين (٤٠) أنه لما أقعد جاءهم رجل مغربي شرط على نفسه أنه يبرئه مما هو فيه ، وأنه لا يأخذ أجراً الا بعد برئه ، فملنا الى قوله ، وأخذ في معالجته بدهن صنعه ، فظهرت ثمرة صنعه ولانت رجلاه وصار يتمكن من مدهما ، وأشرف على كمال البرء فقال لي : أعط هذا المغربي شيئاً يرضيه وأصرفه ، فقلت له : لماذا وقد ظهر نجاح معاناته ؟ فقال : الأمر كما تقول ، ولكنني في راحة مما كنت فيه من صحبة هؤلاء القوم والالتزام بأخطارهم ، وقد سكنت روحي الى الانقطاع والدعة ، وقد كنت بالأمس وأنا معافى أذل نفسي بالسعي اليهم ، وها أنا اليوم قاعد في منزلي ، فإذا طرأت لهم أمور ضرورية جاؤوا الي بأنفسهم لأخذ رأيي ، وبين هذا وذاك كثير ، ولم يكن سبب هذا الا هذا المرض ، فما أرى زواله ولا معالجته ، ولم يبق من العمر الا القليل فدعني أعش باقيه حراً سليماً من الذل وقد أخذت منه بأوفر حظ . قال عز الدين : فقبلت قوله وصرفت الرجل باحسان .

وهكذا سكنت روحه الى الانقطاع ، وخلدت نفسه الى الدعة ، وأصبح وهو مريض
مقعد محبة طلاب العلم (٤١) ومهوى أفئدتهم ومرجع السائلين يفشاه الأكابر والعلماء الى
أن وافاه الأجل .

قال فيه ابن المستوفي (٤٢) : أشهر العلماء ذكراً ، وأكبر النبلاء قدراً ، وأوحد الأفاضل
المشار اليهم ، وفرد الأمثال المعتمد في الأمور عليهم . وقال فيه ابن خلكان (٤٣) : كان ورعاً ،
عاقلاً مهيباً ، ذا بر واحسان . وقال فيه ياقوت (٤٤) : كان عالماً فاضلاً ، وسيداً كاملاً .
وقال فيه أبو شامة (٤٥) : كاتب مصنف وصدر كبير . وقال السيوطي (٤٦) : من
مشاهير العلماء ، وأكابر النبلاء ، وأوحد الفضلاء .

نقل القفطي (٤٧) عن أخيه أبي الحسن عز الدين أنه رآه بعد موته في المنام ، وأن
نجاسة قد أذته . قال : فاستقصيت وبحثت عن صحة هذه الرؤيا ، فوجدت أحد الأهل قد
أطلق غنماً له فوق سطح الصفقة التي هوف فيها مدفون ، وقد كثر ما يخرج من أجوافها
فوق ذلك الموضع ، فأزلته ونظفته مما حصل فيه .

□ شيوخه ومن روا عنه :

تلمذ مجد الدين بن الأثير لجماعة من العلماء الأفاضل . فأخذ النحو والأدب عن
أبي محمد سعيد بن المبارك بن علي الدهان البغدادي النحوي المتوفى سنة ٥٦٩ هـ (٤٨) ،
كما أخذ النحو عن أبي الحزم مكّي بن الريان بن شبة بن صالح الماكسيني النحوي الضرير
نزيل الموصل المتوفى ٦٠٣ هـ (٤٩) . وعن يحيى بن سعدون القرطبي النحوي اللغوي المقرئ
الأديب المتوفى في الموصل سنة ٥٦٧ هـ (٥٠) ، وعن أبي محمد اسماعيل بن المبارك (٥١) .

وسمع الحديث من أبي الحزم مكّي الماكسيني وقرأ عليه كتاب الموطأ في مدة آخرها
شهور سنة ثمان وثمانين وخمس مائة بالموصل (٥٢) . كما سمع الحديث من أبي الفضل
عبد الله بن أحمد بن محمد الطوسي المتوفى سنة ٥٧٨ هـ (٥٣) ومن عبد الوهاب بن سكيبة
الصوفي الشافعي المتوفى سنة ٦٠٧ هـ (٥٤) ، ومن أبي القاسم صاحب ابن الخل (٥٥) .

قرأ صحيح البخاري على الشيخ جمال الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن سرايا
بمدينة الموصل في مدة آخرها شهور سنة ٥٨٨ هـ (٥٦) . وقرأ صحيح مسلم على الشيخ
الامام الثقة أبي ياسر عبد الوهاب بن هبة الله بن عبد الوهاب بن أبي حية البغدادي بمدينة
الموصل في شهور سنة ٥٨٧ هـ (٥٧) . وأجاز له الشيخ ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب بن
علي بن علي الأمين وسمع منه صحيح مسلم في سنة ٥٨٥ هـ (٥٨) . وقرأ عليه كتاب
السنن لأبي داود وأقر له به ، وذلك بمدينة السلام في سنة ٥٨٦ هـ (٥٩) . كما قرأ عليه
أيضاً كتاب الجمع بين الصحيحين للحمّيدي بظاهر الموصل سنة ٥٨٥ هـ (٦٠) . وقرأ
كتاب السنن للنسائي على الشيخ الامام أبي القاسم يعيش بن صدقة بن علي الفراتي
بمدينة السلام في سنة ٥٨٦ هـ (٦١) . وسمع كتاب رزّين بن معاوية في الحديث من الشيخ
الامام أبي جعفر المبارك بن المبارك بن أحمد بن زريق الحداد المقرئ في سنة ٥٨٩ هـ (٦٢) .

روى عنه القفطي المتوفى سنة ٦٤٦ هـ صاحب انباه الرواة . قال : ورويت عنه
رحمه الله - وقال : كتب اليّ الاجازة بجميع مصنفاته ومسموعاته ومروياته .

كما روى عنه والده ، والشهاب الطوسي ، أبو الفتح محمد بن محمود نزيل مصر وشيخ
الشافعية المتوفى سنة ٥٩٦ هـ وكان آخر من روى عنه بالاجازة فخر الدين البخاري .
كذلك تتلمذ عليه في دراسة القرآن والحديث أخوه الأديب ضياء الدين وتولى تدريس كتبه .

□ ثقافته :

تلقى مجد الدين بن الأثير العلم منذ صغره في مدارس بلدته جزيرة ابن عمر
ثم أتمه في الموصل وبغداد ، واهتم خاصة بدراسة القرآن والحديث ، وقرأ الفقه
والأصول كما درس اللغة والنحو ولم ينقطع عن الدراسة وملاقة العلماء وصحبة الكتب
وسماع الحديث حتى وفاته . وقضى حياة حافلة بالعلم والنشاط ، مشهورة بالصدق
والصلاح . قال في مقدمة كتابه جامع الأصول (٦٣) : ما زلت في ريعان الشباب ، وحداثة
السن ، مشغولاً بطلب العلم ، ومجالسة أهله ، والتشبه بهم حسب الامكان ، وذلك من فضل
الله عليّ والطفه بي أن حبّبه اليّ ، فبذلت الوسع في تحصيل ما وفقت له من أنواعه ،
حتى صارت فيّ قوة الاطلاع على خفائيه ، وادراك خباياه ، ولم آل جهداً - والله الموفق -
في اجمال الطلب ، وابتغاء الأرب ، الى أن أن تشبثت من كل علم بطرف تشبهت فيه
بأثرابي ولا أقول : تميزت به على أثرابي والله الحمد على ما أنعم به من فضله

قال ياقوت (٦٤) : كان عالماً فاضلاً وسيداً قد جمع بين علم العربية والقرآن والنحو
واللغة والحديث وقال ابن خلكان (٦٥) : كان فقيهاً محدثاً أديباً نحويّاً عالماً بصناعة الحساب
والانشاء . . . وقال أبو الفداء (٦٦) : كان مجد الدين عالماً بالفقه والأصول والنحو
والحديث واللغة وله تصانيف مشهورة وكان كاتباً مقلقاً . وقال ابن كثير (٦٧) : سمع
الحديث الكثير وقرأ القرآن ، وأتقن علومه ، وحررها وقد جمع في سائر العلوم كتباً مفيدة ،
وقال اليافعي (٦٨) : له المصنفات البديعة والرسائل الموسيعة . وفضلاً عن ذلك ، فإن
مجد الدين قال الشعر ، ولكنه كان مقلداً فيه ، فقد روى أخوه عز الدين أنه حدثه مرة
فقال (٦٩) : كنت أشتغل بعلم الأدب على الشيخ أبي محمد سعيد بن المبارك بن الدهان النحوي
البغدادي بالموصل وكان كثيراً ما يأمرني بقول الشعر ، وأنا أمتنع من ذلك قال : فيينا أنا
ذات ليلة نائم رأيت الشيخ في النوم ، وهو يأمرني بقول الشعر فقلت له ضع لي مثلاً
أعمل عليه فقال :

جُبِ الفلا مُدْمِناً ان فاتك الظفرُ وخَدَّ الثرى والليلُ معتكرُ

فقلت أنا :

فالعزُّ في سهوات الغيل مركبهُ والمجد ينتجه الاسراء والسهَرُ

فقال لي : أحسنت ، هكذا فقل ، فاستيقظت فأتت عليها نحو العشرين بيتاً .

وقد أورد له ياقوت بعض شعره رواية عن أخيه عز الدين ونقل قوله : كان أخي قليل الشعر لم يكن له به تلك العناية ، وما أعرف الآن له غير هذا . قال ابن خلكان (٧٠) . له شعر يسير ، وأورد له شعراً أنشده للأتابك صاحب الموصل وقد زلت بغلته .

وهكذا تمثلت فيه ثقافة الأديب الموسوعية ، وتوافرت فيها عناصرها القائمة على مبدأ الأخذ من كل علم بطرف ، وهو مفهوم ينسحب على أقرانه الأدباء ونظائره العلماء في عصور الأدب العربي القديم بعامة في الأغلب الأعم .

خلّف مجد الدين آثاراً طيبة تنم عن ثقافته المتشعبة ، وتشير الى علمه الوفير ومعرفته الغزيرة خلّدت اسمه في مكتبتنا العربية وشغلت مكاناً متمصداً فيها ، تفرّغ لها - كما أشرنا سابقاً - في فترة مرضه ، فقام بتصنيفها تعينه جماعة في الاختيار والكتابة أملاها املاء ، لأن مرضه كفّ يديه عن الكتابة . وهي :

١ - الانصاف في الجمع بين الكشف والكشاف : والأول هو تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن لأبي اسحاق الثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧ هـ ، والثاني هو تفسير الكشف عن حقائق التأويل لأبي القاسم الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ . قال ياقوت (٧١) : أربع مجلدات . ووصفه صاحب كشف الظنون (٧٢) بأنه تفسير كبير ، وذكره ابن تفردي بردي (٧٣) .

٢ - الباهر في الفروق في النحو : ذكره ياقوت والسيوطي وحاجي خليفة (٧٤) .

٣ - البديع في النحو : ذكره ياقوت والسيوطي ، وذكره ابن خلكان والسبكي وابن تفردي بردي (٧٥) باسم : البديع في شرح الفصول لابن الدهان . قال عنه ياقوت (٧٦) : يؤبه تبويهاً عجيباً . ومنه نسخة خطية بمكتبة عاطف أفندي في تركيا برقم ٢٤٤٦ ، وورد اسمه البديع في علم العربية ، وجاء في وصفه (٧٧) : انه في الصرف والنحو والكتابة والشعر والخطابة ورتبه في عشرين باباً . أوّله : أما بعد : فانك أيها الأخ أبقاك الله وبرعك لما قرأت كتاب بغية الراغب في تهذيب الفصول النحوية رأيته في غاية ما يمكن من الاختصار ويمكن من الإيجاز مع ما اشتمل عليه من الشرائط ، وحواه من الأحكام والضوابط . وكنت في مزاولة هذا الفن . . . رغبت الى جمع كتاب تنير طرق فهمه وتوضح مذاهب معرفته فأجبتك الى ما سألت . . .

٤ - تجريد أسماء الصحابة (٧٨) : طبع في حيدر آباد سنة ١٣١٥ هـ .

٥ - تهذيب فصول ابن الدهان : ذكره ياقوت والسيوطي وحاجي خليفة (٧٩) وهو في النحو ويبدو أن اسمه كما ورد في مقدمة كتاب البديع هو بغية الراغب في تهذيب الفصول النحوية .

٦ - جامع الأصول في أحاديث الرسول : جمع فيه بين البخاري ومسلم والموطأ وسنن أبي داود وسنن النسائي والترمذي . ورتبه على حروف المعجم ، وشرح غريب الأحاديث ومعانيها وأحكامها ، ووصف رجالها ، ونبه على جميع ما يحتاج اليه منها . طبع في القاهرة

سنة ١٣٦٨ هـ بعناية الشيخين عبدالمجيد سليم وحامد الفقي وطبع في الهند سنة ١٣٤٦ هـ
كما طبع بتحقيق عبدالقادر الأرناؤوط سنة ١٩٦٩ م وصدر عن مكتبة الحلواني ومطبعة
الملاح ومكتبة دار البيان في بيروت .

٧ - ديوان رسائل : ذكره ابن خلكان وياقوت وابن تغري بردي (٨٠) . ومنه نسخة
خطية بالقاهرة ثان ١٥٨/٣ أشار اليها بروكلمان (٨١) .

٨ - رسائل في الحساب : مُجَدِّولات ذكرها ياقوت (٨٣) .

٩ - الشافي في شرح مسند الشافعي : قال عنه ياقوت (٨٤) : أبدع في تصنيفه ،
فذكر أحكامه ولفته ونحوه ومعانيه نحو مائة كراسة ، طبع في ارا بالهند سنة ١٣٠٦ هـ
وفي القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ .

١٠ - شرح غريب الطوال : ذكره السبكي (٨٥) .

١١ - الفروق في الأبنية والنحو : ذكره السبكي (٨٦) ولعله الباهر في الفروق في
النحو عند ياقوت (٨٧) والسيوطي (٨٨) .

١٢ - كتاب في صناعة الكتابة : وصفه ابن خلكان (٨٩) بأنه كتاب لطيف .
وذكره ابن تغري بردي وابن العماد الحنبلي (٩٠) .

١٣ - المختار في مناقب الأخيار : قال ياقوت (٩١) : في أربع مجلدات . ومنه
نسخة خطية بلندن برقم ١٠٩٠ ونسخة بمكتبة فيض الله باستنبول برقم ١٥١٦ وذكر
الدكتور رمضان ششن عدة نسخ خطية له في مكتبات تركيا (٩٢) . ومنه كذلك نسخة مصورة
بمعهد المخطوطات العربية عن نسخة شستريتي وورد اسمه : المختار في مناقب الأبرار ، وهو
مختصر من كتاب : مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار لابن خميس .

١٤ - المرصع في الآباء والأمهات ، والأبناء والبنات والأزواء والذوات : طبع في
ديمار سنة ١٨٩٦ م بعناية سيبولد الألماني . كما طبع بتحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي
سنة ١٩٧١ م في بغداد .

١٥ - المصطفى والمختار في الأدعية والأذكار ، ذكره ابن خلكان وابن تغري بردي
وابن السبكي وابن العماد واللكنوي (٩٣) .

١٦ - منال الطالب في شرح طوال الغرائب : وأشار اليه السبكي باسم شرح غريب
الطوال . وقد نشر بتحقيق الدكتور محمود الطنحاي وصدر عن جامعة أم القرى بمكة
سنة ١٩٨٣ م .

١٧ - النهاية في غريب الحديث والأثر : طبع في طهران ١٢٦٩ هـ ، ثم في القاهرة
١٣٠٨ هـ و١٣١١ هـ و١٣٢٢ هـ وصدر أخيراً عن مكتبة عيسى الحلبي بالقاهرة ١٩٦٣-١٩٦٥
بتحقيق الطاهر الزاوي ومحمود الطنحاي .

□ منهجه في التأليف :

ان أول ما يلفت المدارس لكتب مجد الدين بن الأثير ، هو ذلك المنهج المحكم الذي تقوم عليه كتبه ، وهو منهج يمكن وصفه - بإحدى ذي بدء - بأنه منهج واضح المعالم ، قريب المقصد ، سهل المأخذ ، يصل فيه القارئ أو الباحث الى مبتغاه دون أدنى جهد ، لأن صاحبه توخى فيه تيسير الفائدة منه ، وجعلها تعم فتنتشر ، فتشمل العوام والخواص ، ولا تختص ب فئة معينة من الناس ، وذلك من خلال تيسير سبل البحث في مؤلفاته ، و تخير مادتها ، وطريقة عرضها ، الأمر الذي يكسب كتبه طابعاً جماهيرياً ، ويستدل منه على عقلية الرجل المعلم المؤلف الذي يمتلك موضوع كتابه ، ويحيط احاطة تامة تمكنه من توضيح عناصره بسهولة ويسر ، ووضوح وجلاء ، وبطريقة تؤدي الى الافهام والاقناع من خلال اطلاعه الوافي على مظان كتبه ، واستيعابه لمفردات اللغة ، ومعرفته لأساليبها ، ومقدرته الفائقة في توظيف الشواهد وحسن استخدامها .

وقد حرص على أن يكون منهج كتبه واضحاً لا غموض فيه ولا ابهام ، ليسهل تناول الكتاب ويقرب مأخذه ، ولذلك أسهب في شرح منهج كتبه بشكل واف في مقدمات كتبه كما حرص على عرض مادتها بأسلوب واضح لا غرابة فيه ولا ايحاش لتكون المادة العلمية التي يقدمها قريبة المأخذ ، سهلة المطلب لأن هدفه عامة الناس وليس خاصتهم فقط . يقول في مقدمة كتابه جامع الأصول (٩٤) : ولم أقتصر على ذكر الغريبة التي يحتاج الخواص الى شرحها ، بل ذكرت ما يفتقر العوام الى معرفته زيادة في البيان .

ويقول أيضاً (٩٥) : ولم أقصد به الا طلب الأسهل ، فان كتب الحديث يشتغل بها الخاص والعام والعالم بتصرف اللفظ والجاهل والوكلفت العامي أن يعرف الحرف الأصلي من الزائد لتعذر عليه ، لكنه يسهل عنده معرفة الحرف الذي هو في أول الكلمة من غير نظر الى أنه أصلي أو زائد .

كان مجد الدين مدركاً أهداف كتبه والأغراض التي يتوخاها منها ، فهي لها المنهج الذي يفي بتلك الأهداف ، وتحقق تلك الأغراض ، لأن اختلاف الأغراض - كما يقول (٩٦) - هو الداعي الى اختلاف التصانيف .

ان رغبته في رواج كتبه وذيوعها عن طريق تعميم الفائدة منها ، بتيسير سبل البحث فيها جعله يرسم لها منهجاً يعرض من خلاله مواد كتبه عرضاً منظماً ، مبوباً تبويباً محكماً دقيقاً ، كما قاده الى توجيه نقد لطيف لمتن بعض الكتب المصنفة في الموضوع ذاته ، وهو نقد موجه أساساً الى صعوبة مناهجها ، وتكلفها وعسرهما ، ومشقة البحث فيها . يقول في مقدمة كتابه النهاية (٩٧) : ٠٠٠ فكانت هذه الكتب الثلاثة في غريب الحديث أمهات الكتب ، وهي الدائرة في أيدي الناس التي يعول عليها علماء الأمصار ، الا أنها وغيرها من الكتب المصنفة التي ذكرناها ، أو لم تذكرها لم يكن فيها كتاب صنف مرتباً ومقفى يرجع الانسان عند طلب الحديث اليه الا كتاب الحربي وهو على طوله وعسر ترتيبه لا يوجد الحديث فيه

الا بعد تعب وعناء • ولا خفاء بما في ذلك من المشقة والنصب ، مع ما فيه من كون الحديث المطلوب لا يُعرف في أي واحد من هذه الكتب هو ، فيحتاج طالب غريب حديث الى اعتبار جميع الكتب أو أكثرها حتى يجد غرضه من بعضها • ويقول في كتاب الفائق للزمخشري (٩٨) : « ولقد صادف هذا الاسم مسمى ، وكشف من غريب الحديث كل معني ، ورتبه على وضع اختاره مقفّي على حروف المعجم ، ولكن في العثور على طلب الحديث منه كلفة ومشقة ، وإن كانت دون غيره من متقدم الكتب ، لأنه جمع في التقفية بين إيراد الحديث مسروداً جميعه أو أكثره أو أقله ، ثم شرح ما فيه من غريب فيجيء شرح كل كلمة غريبة يشتمل عليها ذلك في حرف واحد من حروف المعجم ، فتزداد الكلمة في غير حرفها ، وإذا تطلبها الانسان تعب حتى يجدها ، فكان كتاب الهروي أقرب متناولاً ، وأسهل مأخذاً ، وإن كانت كلماته متفرقة في حروفها ، وكان النفع به أتم والفائدة منه أهم » •

ويؤكد مجد الدين مبدأ سهولة المطلب ووضوح المنهج لتيسير الفائدة في غير مناسبة فيقول (٩٩) : « وإن نحن أفردنا للشرح كتاباً مستقلاً بنفسه • • • فكانت الفائدة تذهب ويزول الغرض ويقول (١٠٠) : ليكون أسهل مطلباً للناظرين فيه •

هذه المسألة جعلت ابن الأثير يتخير لكتبه منهجاً سديداً يستند على فكرة الترتيب المعجمي ، أي ترتيب مادة الكتاب وعرضها على أساس ترتيب حروف الهجاء (ا ب ت ث) طلباً لتسهيل كلفة الطالب ، وتقريباً على المرید بلوغ الأرب كما يقول (١٠١) • ومما لا شك فيه أن مثل هذا المنهج يستجيب لأغراض التأليف عند ابن الأثير ، وينسجم مع طبيعة المادة العلمية المعروضة في معظم كتبه • الأمر الذي يبرز مجد الدين هذا مؤلفاً متميزاً ، وعالمًا بارعاً متفتناً ، يتميز بعقلية معجمية منظمة هيأته لأن يشغل مركزاً مرموقاً بين صناع المعجم العربي •

وكتابه النهاية في غريب الحديث والأثر أقامه على أساس الترتيب المعجمي ، حيث وزّع مادته على ثمانية وعشرين حرفاً هي عدد حروف الهجاء ، ثم قسم مادة كل حرف على أبواب بحسب الحرف الثاني • والاضافة الجديدة الى الصناعة المعجمية العربية أنه اضافة الى أنه رتب فيه الكلمات باعتبار الحرف الأول والثاني وما يليهما بعد تجريد الكلمات من حروفها الزوائد فقد أثبت مجموعة من الكلمات في أوائلها حروف زائدة في باب الحرف الذي هو أولها وإن لم يكن أصلياً •

صحيح أن رواد المعجم العربي بنوا معجماتهم اللغوية على أساس الحروف الأصول ، وأن بعض اللغويين العرب أقاموا ترتيب كتبهم اللغوية على أساس صورة الكلمة معتبرين الحروف الزائدة في ترتيب الكلمات كما فعل ابن ولاد المصري (ت ٣٣٢هـ) في كتابه المقصور والمدور والراغب الأصفهاني (٥٠٤هـ) في كتابه المفردات في غريب القرآن ، والجواليقي (٥٤٠هـ) في كتابه المعرب على حروف المعجم ، إلا أننا لا نقف على لغوي سلك مسلك ابن الأثير في ترتيب كتابه ، أي في جمعه بين الطريقتين • وحجة مجد الدين في ذلك تحدث عنها في مقدمة الكتاب فقال (١٠٢) : « إلا أنني وجدت في الحديث

كلمات كثيرة في أوائلها حروف زائدة قد بنيت الكلمة عليها حتى صارت كأنها من نفسها ، وكان يلتبس موضعها الأصلي على طالبيها ، لاسيما وأكثر طلبه غريب الحديث لا يكادون يفرقون بين الأصلي والزائد فرأيت أن أثبتتها في باب الحرف الذي هو في أولها وإن لم يكن أصلياً ، ونبت عند ذكره على زيادته لئلا يراها أحد في غير بابها فيظن أنني وضعتها فيه للجهل بها فلا أنسب إلى ذلك ، ولا أكون قد عرّضت الوقف عليها للغيبة وسوء الظن » .

وفي كتابه جامع الأصول عدل عن الطريقة الأولى وأقام ترتيب مواد كتابه على صورة الكلمة دون النظر إلى الحروف الأصول ولم يحذف من الكلمة إلا الألف واللام التي للتعريف يقول (١٠٣) : ولم أضبط في وضعها الحرف الأصلي من الكلمة فحسب ، إنما لزم الحرف الذي هو أول الكلمة ، سواء كان أصلياً أو زائداً ، ولم أحذف من الكلمة إلا الألف واللام التي للتعريف حسب » .

وأكذلك نهج في ترتيب مادة كتابه المرصع يقول في مقدمته (١٠٤) : « ورتبت ذلك جميعه على حروف المعجم ليكون أسهل مأخذاً وأقرب متناولاً ... والمتزمت في الترتيب الحرف الذي في أول الكلمة زائداً كان أو أصلياً ، ولم أسقط منها إلا الألف واللام التي للتعريف » . وقد كان لهذا المنهج أثره فيمن جاء بعده ، فالصفي (٧٦٤ هـ) أقام ترتيب مادة كتابه غوامض الصحاح على أساس صورة الكلمة بحسب أوائل الحروف مع مراعاة الثواني والثالث دون تجريدتها من الحروف الزائدة .

فضلاً عن ذلك فقد تأسس منهجه على التمهيد لكتبه بمقدمات وافية يشرح فيها منهجه ويبين غرضه ومقصده ، ويدون فيها مصادره التي اعتمدها في تأليف الكتاب ويذكر أسماء من سبقوه في التأليف في الموضوع ذاته ، ويوجه إليها نقداً يكشف بعض سلبياتها وغالباً ما يكون النقد موجهاً إلى منهج الكتاب .

ففي كتابه جامع الأصول (١٠٥) يعقد الباب الأول منه للحديث عن الباعث في عمل الكتاب ويوزعه على مقدمة وأربعة فصول ، يتحدث في المقدمة عن شغفه بطلب العلم منذ حداثة سنه ، ثم يتحدث عن أهمية علم الشريعة وأقسامه ، ويجعل معرفة اللغة والاعراب أصلاً لمعرفة الحديث لورود الشريعة بلسان العرب ، ثم يتحدث عن أقسام علم الحديث وفي الفصل الأول يتحدث عن انتشار علم الحديث ، ويخصص الثاني للحديث عن بيان اختلاف أغراض الناس ومقاصدهم في تصنيف الحديث ، ويجعل الفصل الثالث في اقتداء المتأخرين بالسابقين وسبب اختصارات كتبهم وتأليفها ، والرابع في خلاصة الغرض من جميع هذا الكتاب . وأما الباب الثاني ، فيجعله في كيفية وضع الكتاب . وفيه ستة فصول ، جعل الأول منها في ذكر الأسانيد والمتون ، والفصل الثاني في بيان وضع الأبواب والفصول ، والثالث في بيان التقفية وإثبات الكتب في الحروف ، والرابع في بيان أسماء الرواة والعلائم ، والخامس في بيان الغريب والشرح ، والسادس فيما يستدل به على أحاديث مجهولة .

وفي مقدمة النهاية في غريب الحديث التي بلغت عشر صفحات من القطع الكبير يتحدث عن أهمية علم الحديث ودواعي تدوينه ، ويسرد تاريخياً أسماء من صنف في غريب

الفاظه، ويوجه الى مؤلفاتهم نقداً بعد أن يثني عليهم . فكتاب أبي عبيدة معمر بن المثنى في غريب ألفاظ الحديث والأثر كتاب صغير ذو أوراق معدودات (١٠٦) ، ويعمل سبب صفه ، وكتاب الامام ابراهيم الحربي ترك وهجر بسبب طوله ، وان كان كثير الفوائد ، جم المنافع (١٠٧) . وفي هذه المقدمة يحدد غرضه من الكتاب وهو معرفة الكلمة الغريبة في الحديث والأثر لغة واعراباً ومعنى لا متون الأحاديث والآثار وطرق أسانيدھا وأسماء رواتها (١٠٨) ، ثم يشرح المنهج الذي سلكه في ترتيب مادة كتابه .

وتنطوي مقدمة المرصع على المطالب الباعثة على تأليفه ، ويوجه نقداً اجمالياً للكتب المصنفة في هذا الضرب ، ويتحدث عن صنيعه في كتابه والمنهج الذي سلكه في ترتيب مادته . وتشغل المقدمة خمس صفحات من الكتاب المطبوع .

ومن خصائص المنهج التأليفي عند ابن الأثير العناية بذكر مصادر كتبه وحسن استخدامها وتوظيفها في البحث . وهي مسألة لا ينفرد بها ابن الأثير ، وانما تشكل احدى مميزات المنهج التأليفي عند العرب ابتداء من القرن الرابع الهجري .

فمن الحقائق المستقرة في الحياة العلمية عند العرب ، أن الرواية الشفوية ، كانت المصدر الذي يمثل الأساس فيما نقل عن العرب من معارف وعلوم ، وقد عني القدماء بها عناية فائقة تمثلت في اهتمامهم البالغ باسناد كل خبر الى راويه ، وكل قول الى قائله وكل نص الى منشئه ، واستمر هذا الاهتمام الى ما بعد عصر التدوين ، وقادهم ذلك - وما يتضمنه من ذكر المصدر وإيراد السند - الى تحري الدقة وتوخي الضبط ، ودفعهم للتلمذة على شيوخ العلم وأئمتة .

وقد أدرك ابن الأثير ، العالم المحدث هذه المسألة جيداً ، فلم يخرج عنها بتاتاً ، بل التزم بها في جميع مؤلفاته ، فاهتم بذكر مصادر مواد كتبه العلمية ، والتفت الى تثبيت الأسانيد التي تحملها ، واحتاط ممن لم يوثق علمه ، ونبه على الآراء التي لم يستطع اسنادها ، ولم يطمئن الى صحتها وأدى الأمانة العلمية حق أدائها فيما نقله من آراء ، وما أثبتته من معارف وعلوم متسلخاً بقول سفيان الثوري (١٠٩) : الاسناد سلاح المؤمن ، فاذا لم يكن معه سلاح ، فبأي شيء يقاتل ؟ » . وسعى لتوفير أعلى درجات التوثيق لكتبه على ما تتطلبه رواية الحديث من ضوابط دقيقة .

ففي كتابه جامع الأصول ذكر سند الكتب الحديثية التي اعتمدها في كتابه ، وعقد لها الباب الخامس منه (١١٠) . وأسند كل حديث الى من أخرجه من أصحاب الكتب الستة ، فجعل للبخاري رمز (خاء) ولمسلم رمز (ميم) وللمالك رمز (طاء) وللترمذي رمز (تاء) الخ وفضلاً عن ذلك وخشية أن تسقط بعض العلامات من مواضعها فيبقى الحديث مجهولاً لا يعلم من أخرجه - كما يقول (١١١) - ذكر في آخر كل حديث من أخرجه من الأئمة في متن الكتاب ليزول هذا الخلل المتوقع . كما ذكر أسماء المصادر التي عول عليها في شرح الغريب فذكر من كتب اللغة تهذيب الأزهري وصحاح الجوهري ، ومن كتب

غريب الحديث ، غريب ابن قتيبة والخطابي . . . الخ . . . ويقول (١١٢) : « وكل ما وجدته في هذه الكتب من معنى مستحسن ، أو نكتة غريبة ، أو شرح شاف أثبتته بعد الاحتياط فيما نقلته ، وما لم أجده فيها - وإنه القليل - ذكرت فيه ما سنع لي بعد سؤال أهل المعرفة به والدراية » . ويوثق كلامه بشواهد لا تقبل الطعن وفي مقدمتها النص القرآني ، ثم كلام العرب من شعر ونثر ، وما لم يثبت منه لم يشرحه . يقول (١١٣) : « وكل كلمة لم أعرف شرحها أو كنت منها على ارتياب ، أثبتتها وأخليت حذاءها لأثبت فيه شرحها » .

ويفعل الشيء ذاته في مقدمة كتابه النهاية من ذكر لمصادر كتابه ، ومن التزام أمين بالاسناد في أثناء عرض المادة العلمية ، والحق أن هذا الاهتمام بالمصادر وحسن استخدامها جعله يقترب كثيراً من المنهج الحديث . فالرجل - بادئ ذي بدء - يحيط بمصادر موضوعه احاطة تامة ، فيوردها في مقدمات كتبه التي تعد وثائق تؤرخ للتأليف في موضوع الكتاب ذاته ، ولم يكتف بذكرها فحسب ، وإنما أحسن استخدامها ، والافادة منها أكبر فائدة . وميز بين المصادر المباشرة والمصادر غير المباشرة لموضوع الكتاب ، وجعل الأولى - كما يقتضيه المنهج الحديث - أساس مادة البحث أو الموضوع ، والثانية مساعدة تشتمل على فوائد تتصل بموضوع الكتاب نفسه . فالمصادر المباشرة في كتابه جامع الأصول هي كتب الصحاح الستة . وغير المباشرة كتب الحديث بعامة وكتب الفقه واللغة . . . ولم يستخدمها دون النظر فيها ، وإنما وعى منتهجها ، وتمثل مادتها ، ووجه اليها نقداً كما رأينا سابقاً وقد بذل الرجل جهده في سبيل أن يوفر لكتبه كل مقومات المنهج العلمي السديد ، ويبعد عنها الخطأ ، ويدرا عنها التصحيف الذي مني به تراثنا وعدة آفة علمية لحقت به ، ولا شك أن ضبط الكلمات يؤمن معه اللبس ويمنع عن الكلمات التصحيف ويحيطها بالضمانات التي تقيها ذلك ، ويؤدي الى صحة نطقها وسلامة أدائها ويصلها بطرقها العربية السليمة .

وتتعدد في مؤلفاته أشكال الضبط وتتنوع ، وأغلب تلك الأشكال ضبط الكلمات بالعلامات المعروفة ، الفتحة - الضمة - الكسرة . ومنها : التنبيه على المعجم من الحروف نحو ابن خذام بالخاء المعجمة (١١٤) . ومن التصريح بالعبارة ببيان شكل ضبط حرف أو أكثر من حروف الكلمة فيما يشكل من كلمات مثل : الثبت - بالتحريك (١١٥) - وذو الرقية - بفتح الراء وكسر اللقاف (١١٦) . وذات حبيس بفتح الحاء وكسر الباء الموحدة والسين المهملة (١١٧) . ومنه ضبط الكلمة بالتمثيل لها بكلمة أخرى أشهر ، أو بالميزان الصرفي : فالجزورة بوزن قسورة (١١٨) .

وكل هذه الأشكال معروفة متداولة في تراثنا ، ومستخدمة من قبل علمائنا بتفاوت فيما بينهم . إلا أن ما ينفرد به - فيما نظن - أنه قد يلجأ الى شرح الكلمة الواضحة التي لا تحتاج الى شرح أو تفسير ليدراً عنها مظنة التصحيف . ففي النهاية في غريب الحديث (١١٩) في حديث عمر رضي الله عنه : أن امرأة نشزت على زوجها فحبسها في بيت الزيل . قال ابن

الأثير : هو - بالكسر - السرجين وبالفتح : مصدر زبلت الأرض اذا أصلحتها بالزبل ، قال : وانما ذكرنا هذه اللفظة مع ظهورها لثلاث تصحف بغيرها فانها بمكان من الاشتباه» .

ومن خصائص منهجه في التأليف انتفاء ظاهرة الاستطراد فيه ، هذه الظاهرة التي نراها بارزة في منهج التأليف عند العرب وخاصة الجاحظ وكان لهم في ذلك وجهة نظر ، فاين الأثير ملتزم بالموضوع الذي يعالجه لا يتجاوز ، متقيد بالفكرة التي يفرضها لا يتعداها حتى يعطيها حقها ، ويوفر لها كل مستلزمات ، ويسوقها بطريقة تكشف عن مقدرة بارعة على تناول الموضوعات وعرضها وتحليلها وقد قاده هذا الأمر الى عدم تكرار المادة في الكتاب الواحد ، بل نراه حريصاً على ذلك في رسم منهج كتابه متيقظاً له ، متحاشياً ايابه في كثير من مواضع الكتاب ففي مقدمة كتابه : جامع الأصول يقول (١٢٠) : لما أردنا أن نذكر شرح لفظ الحديث ومعناه ، كان الأولى بنا أن نذكره عقيب كل حديث ، فانه أقرب تناوولا وأسهل مأخذاً ، لكننا رأينا أن ذلك يتكرر تكرراً زائداً وان نحن أوردناه آخر كل فصل أو باب جاء من التكرار ما يقارب الأول » .

وقد دفعه ذلك الى ربط أجزاء موضوع كتابه الواحد ، والتتبيه على ذلك في أثناء عرض المادة العلمية منعاً للتكرار ، وليقدم كل ما يسهل على الباحث والدارس الوصول الى مبتغاه من الكتاب . يقول في كتابه الجامع (١٢١) : وسيجيء ذكرها في الفصل الثاني من الباب الثالث من كتاب البيع .

وهكذا كان منهج ابن الأثير في التأليف مؤسساً على ثوابت علمية واضحة ، تمثلت في الترتيب الواضح ، والمأخذ السهل ، ووحدة الموضوع ، وانتفاء التكرار ، والتوثيق العلمي ، فظهر لنا مؤلفاً متميزاً متمكناً ، توافرت لكتبه مقومات المنهج العلمي الحديث ، مما يجعله يشغل منزلة رفيعة بين رجالنا العظماء وعلمائنا التوايف ، وكتبنا الأفاضل ، جاء بجديد في مجال التأليف والتصنيف ، وأسهم في تطور منهج التأليف والبحث عند العرب .

★ ★ ★

□ الحواشي :

- ١ - معجم الأدباء : ٧٧/١٧ .
- ٢ - يذكر ابنه عز الدين أن الفرنج نهبوا مرة سنة ٥٦٧ هـ باللاذقية ، واخذوا منها مركبتين مملوءتين بالامتنعة ،
- أتابكة الموصل ص ٢٧٠ (نقلاً عن كتاب ضياء الدين بن الأثير للدكتور زغلول سلام . دار المعارف بمصر) .
- ٣ - أتابكة الموصل ٢٧١ .
- ٤ - الأعلام الخطيرة لابن شداد ٢٢٥/٣ .
- ٥ - أتابكة الموصل ٢٧١ .
- ٦ - أتابكة الموصل ٣٤١ .
- ٧ - السابق : ص ٢٧٠ .
- ٨ - الجامكية والجوامك : رواتب خدام الدولة ، تعريب جامكي وهو مركب من (جامه) أي قيمة ومن (كي) أداة النسبة . الألفاظ الفارسية لأدي شير ٤٥ .
- ٩ - أتابكة الموصل ٢٦٨ - ٢٦٩ .

٢٥- ذيل الروضتين : ٦٨ ، والمحفة : مركب كالهودج الا ان الهودج يقبب والمحفة لا تقبب وسميت بها لان الخشب يحف بالقاعدة فيها اي يحيط به (اللسان) .

٢٦- معجم الادباء ١٧/٧٢ .

٢٧- وفيات الاعيان ١٤٢/٤ .

٢٨- البداية والنهاية ١٣/٥٤ .

٢٩- ذيل الروضتين ٦٨ .

٣٠- النجوم الزاهرة ٦/١٩٨ .

٣١- معجم الادباء ١٧/٧٢ .

٣٢- هو السلطان سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن اتابك التركي صاحب الموصل توفي سنة ٥٧٦ هـ .

٣٣- هو مجاهد الدين قايماز بن عبد الله الخادم الحاكم على الموصل ، وكان نائب المملكة توفي ٥٩٤ هـ . وفيات ٤/١٤٢ والنجوم ٦/١٤٤ .

٣٤- وفيات الاعيان ٤/١٤٢ .

٣٥- السابق نفسه .

٣٦- السابق نفسه .

٣٧- معجم الادباء : ١٧/٧٣ .

٣٨- الاكار : الحراث .

٣٩- اي التسهل فيه .

٤٠- وفيات الاعيان ٤/١٤٢ - ١٤٣ وانباء الرواة ٣/٢٥٩ .

٤١- وفيات الاعيان ٤/١٤١ .

٤٢- السابق نفسه .

٤٣- شذرات الذهب ٥/٢٢ .

٤٤- معجم الادباء ١٧/٧١ .

٤٥- ذيل الروضتين ٦٨ .

٤٦- بغية الوعاة ٢/٢٧٤ .

٤٧- انباء الرواة : ٣/٢٥٩ .

٤٨- وفيات الاعيان ٤/١٤١ ، ومعجم الادباء ١٧/٧١ .

٤٩- معجم الادباء ١٧/٧١ ، انباء الرواة ٣/٢٥٨ .

٥٠- بغية الوعاة ٢/٢٧٤ .

٥١- مرآة الجنان : ١١/٤ .

٥٢- جامع الاصول ١/٢٠٠ انباء الرواة ٣/٢٥٨ .

٥٣- انباء الرواة ٣/٢٥٨ .

٥٤- معجم الادباء ١٧/٧٢ ، وبغية الوعاة ٢/٢٧٤ .

٥٥- معجم الادباء ١٧/٧٢ .

٥٦- جامع الاصول لمجد الدين نفسه ١/١٩٨ .

٥٧- جامع الاصول لمجد الدين نفسه ١/١٩٩ .

٥٨- السابق ١/٢٠٠ .

٥٩- السابق ١/٢٠١ .

١٠- دؤدار : كلمة فارسية ، تعني حارس القلعة . قاموس الفارسية د. عبد النعيم محمد حسنين .

١١- ذيل الروضتين ٦٨ .

١٢- النجوم الزاهرة ٦/١٩٨ .

١٣- يذكر ابن شداد في كتابه الاعلاق الخطيرة (٣/٢١٢) ان الحسن اختطها بعد المتنتين في ايام المأمون فعرفت به ، وسمها ابن شداد في موضع آخر جزيرة بني عمر (٣/٥) ، واضاف ابن خلكان (وفيات الاعيان ٣/٣٤٩) انه رأى في بعض التواريخ انها جزيرة بني عمر اوس وكامل ونقل عن تاريخ ابن المستوفى في ترجمة مجد الدين بن الاثير انه من جزيرة اوس وكامل ابني عمر ابني عمر بن اوس التغلبي ويقول : اكثر الناس يقولون انها جزيرة ابن عمر . وقيل انها منسوبة الى يوسف بن عمر الشقي امير العراقيين ، انظر الاعلاق الخطيرة ٣/٥ ، ومجلة الفكر العربي العدد ٥٢ .

١٤- معجم البلدان ٣/١٠٢ ، وذكر ان الحسن بن عمر كانت له امرة بالجزيرة وذكر قرابة سنة (٢٥٠ هـ) .

١٥- وفيات الاعيان ٤/١٤٣ .

١٦- بلدة كبيرة من اعمال الموصل (معجم البلدان ١/٣٨٧) وذكر صاحب مראصد الاطلاع ١/١٨٦ . انه يضرب باهلها المثل في اللصوصية فيقال : لص برقعيلي .

١٧- ذكر ابن شداد في كتابه الاعلاق الخطيرة (٣/٢١٤) انه كان فيها حينئذ اربع مدارس يدرس بها مذهب الاسام الشافعي ، وانها كانت تضم ثمانين مسجداً .

١٨- وفيات الاعيان ٤/١٤٢ ، كانت الموصل حينئذ كما يقول ياقوت (معجم البلدان ٥/٢٢٣) احق قواعد الاسلام وكانت ملتقى العلماء الائمة ، كثرة المساجد والمدارس .

١٩- ذيل الروضتين ٦٨ ، وهي محطة كبيرة في وسط مدينة الموصل كما يقول ياقوت (معجم البلدان) .

٢٠- ذيل الروضتين ٦٨ ، انباء الرواة ٣/٢٥٨ .

٢١- انفراد صاحب الفوائد البهية ص ٣٥ ، في انه توفي في ذي القعدة .

٢٢- شذرات الذهب ٥/٢٣ ، النجوم الزاهرة ٦/١٩٩ .

٢٣- ذيل الروضتين : ٦٨ .

٢٤- شذرات الذهب ٥/٢٣ ، مرآة الجنان ٤/١١ .

- ٦٠- السابق ٢٠٤/١ .
- ٦١- السابق ٢٠٢/١ .
- ٦٢- السابق ٢٠٥/١ .
- ٦٣- جامع الأصول ٣٥/١ .
- ٦٤- معجم الأدباء ٧١/١٧ .
- ٦٥- شذرات الذهب ٢٢/٥ - ٢٣ .
- ٦٦- المختصر في أخبار البشر ٧/٦ .
- ٦٧- البداية والنهاية ٥٤/١٣ .
- ٦٨- مرآة الجنان ١١/٤ .
- ٦٩- معجم الأدباء ٧٣/١٧ - ٧٦ .
- ٧٠- وفيات الأعيان ١٤٢/٤ .
- ٧١- معجم الأدباء ٧٦/١٧ .
- ٧٢- كشف الظنون ١٨٢ .
- ٧٣- النجوم الزاهرة ١٩٨/٦ .
- ٧٤- معجم الأدباء ٧٦/١٧ ، بغية الوعاة ٢٧٤/٢ ، كشف الظنون ٢١٩ ، وسماء : الباهر في النحو .
- ٧٥- معجم الأدباء ١٦/١٧ ، بغية الوعاة ٢٧٤/٢ ، وفيات الأعيان ١٤١/٤ طبقات الشافعية ١٥٤/٥ ، النجوم الزاهرة ١٩٨/٦ .
- ٧٦- معجم الأدباء ٧٦/١٧ .
- ٧٧- نواذر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا . جميعها رمضان ششندار الكتاب الجديد بيروت ١٩٧٥ ج ١ ص ٢٠ .
- ٧٨- لم يرد في مظان ترجمته ، وإنما ذكره بروكلمان في كتابه ١٩٨/٦ .
- ٧٩- معجم الأدباء ٧٦/١٧ ، بغية الوعاة ٢٧٤/٢ ، كشف الظنون ١٧٦٥ .
- ٨٠- وفيات الأعيان ١٤١/٤ ، معجم الأدباء ٧٦/١٧ ، النجوم الزاهرة ١٩٨/٦ .
- ٨١- تاريخ الأدب العربي ، بروكلمان ١٩٨/٦ .
- ٨٢- أي مقسمة الى جداول لتسهيل تناولها .
- ٨٣- معجم الأدباء ٧٦/١٧ .
- ٨٤- السابق نفسه .
- ٨٥- طبقات الشافعية ١٥٣/٥ .
- ٨٦- السابق نفسه .
- ٨٧- معجم الأدباء ٧٦/١٧ .
- ٨٨- بغية الوعاة ٢٧٤/٢ .
- ٨٩- وفيات الأعيان ١٤١/٤ .
- ٩٠- شذرات الذهب ٢٢/٥ .
- ٩١- معجم الأدباء ٧٧/١٧ .
- ٩٢- نواذر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا ٣١/١ - ٣٢ .
- وسماء كتاب المختار من مناقب الأخيار .
- ٩٣- وفيات ١٤١/٤ ، والنجوم ١٩٨/٦ وطبقات الشافعية ١٥٢/٥
- وشذرات الذهب ٢٢/٥ ، الفوائد البهية ٣٥ .
- ٩٤- جامع الأصول ٦٥/١ .
- ٩٥- السابق ٦٠/١ .
- ٩٦- جامع الأصول : ٤٦/١ .
- ٩٧- النهاية ٨/١ .
- ٩٨- النهاية : السابق ٩/١ .
- ٩٩- جامع الأصول ٦٥/١ .
- ١٠٠- السابق نفسه .
- ١٠١- السابق ٥٩/١ .
- ١٠٢- مقدمة النهاية ١١/١ .
- ١٠٣- جامع الأصول ٥٩/١ .
- ١٠٤- المرصع ٣٥ .
- ١٠٥- صدر عن معهد المخطوطات العربية بتحقيق الأستاذ عبد الله نبهان .
- ١٠٦- النهاية ٥/١ .
- ١٠٧- السابق ٦/١ .
- ١٠٨- السابق ٨/١ .
- ١٠٩- جامع الأصول ١٠٩/١ .
- ١١٠- السابق ١٩٨/١ .
- ١١١- جامع الأصول ٦٢/١ .
- ١١٢- جامع الأصول ٦٧/١ .
- ١١٣- السابق ٦٦/١ .
- ١١٤- المرصع ص ١٤٤ .
- ١١٥- النهاية ٢٠٦/١ .
- ١١٦- المرصع ١٦٠ .
- ١١٧- المرصع ١٥١/١ .
- ١١٨- النهاية ٣٨٠/١ .
- ١١٩- السابق ٢٩٤/٢ .
- ١٢٠- الجامع ٦٤/١ .
- ١٢١- السابق ١٤٤/١ .

□ مصادر البحث :

- اتابكة الموصل ، عز الدين بن الاثير ، طبعة فرنسية ضمن سلسلة وثائق الحروب الصليبية . (نقلا عن كتاب ضياء الدين بن الاثير للدكتور زغلول سلام . دار المعارف بمصر) .
- الاعلاق الخطيرة في امراء الشام والجزيرة ، ابن شداد ، (الجزء الثالث) تحقيق يحيى عبارة ، وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٧٨ .
- الالفاظ الفارسية ، ادي شير ، المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٠٢ .
- انباء الرواة في اخبار النعاة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٦٩ هـ .
- البداية والنهاية ، ابن كثير ، مطبعة السعادة بمصر .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، السيوطي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ١٩٦٤ .
- تاريخ الادب العربي ، بروكلمان ، (الجزء السادس) ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر ، مراجعة الدكتور رمضان عبد التواب ، دار المعارف بمصر ١٩٧٧ .
- جامع الاصول في احاديث الرسول ، ابن الاثير ، تحقيق عبد القادر الارناؤوط - مكتبة الحلواني - الملاح ، البيان ١٩٦٩ .
- ذيل الروضتين ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، ابو شامة ، دار الجيل بيروت ط ٢ - ١٩٧٤ .
- شذرات الذهب ، ابن العماد الحنبلي ، المكتب التجاري - بيروت .
- طبقات الشافعية الكبرى ، السبكي . المطبعة الحسينية بمصر ١٣٢٤ هـ .
- الفوائد البهية في طبقات الحنفية ، الالكسوي ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٤ هـ .
- قاموس فارسي عربي ، د. عبد النعيم محمد حسنين ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٨٣ م .
- الكامل في التاريخ ، عز الدين بن الاثير ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٥ م .
- لسان العرب ، ابن منظور ، بولاق ١٣٠٠ هـ .
- مجلة الفكر العربي ، معهد الانماء العربي ، بيروت العدد ٥٢ .
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، اليافعي ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت .
- المرصع في الالباء والامهات والبنين والبنات والاذواء والذوات - تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي . بغداد ١٩٧١ .
- معجم الادباء ، ياقوت الحموي ، دار المامون ، القاهرة ١٩٣٨ م .
- معجم البلدان ، ياقوت ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٥ .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ابن تغري بردي ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٨ هـ .
- النهاية في غريب الحديث والاثر ، ابن الاثير ، تحقيق الطاهر الزاوي محمود الطناحي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي الاولى ١٩٦٣ م .
- وفيات الاميان ، ابن خلكان ، تحقيق الدكتور احسان عباس - دار الثقافة - بيروت .